

مكتبة
مدبولى
بخارى الشريفة
تاريخها وتراثها الحضارى
تأليف: خالد عزب

بخارى الشريفة

تاريخها وتراثها الحضارى

خالد عزب

الناشــر
مكتبة مدبولى
ميدان طلعت حرب بالقاهرة-ج م ع
تليفون ٥٧٥٦٤٢١

المحتـــويات

اهداء

إلى أستاذى الدكتور على جمعة

خالد عزب

مقدمـــة

فى سنة ١٢٢٠م دخل «جنكيز خان» مدينة «بخاري» وسار على حصانه مختالا حتى أوقفتة مئذنة «كلان» بأمتارها الستة والأربعين، فظل واقفا أمامها ، يحملق فيها، محاولا أن يفهم سر هذا الشموخ .

وسأ ل ـ متى بنى هذا البناء العجيب؟

أجابوه ـ منذ قرن فى عام ١١٢٧م .

سأل– ولماذ بنوه؟

قالوا– ليرى البعيد عن المدينة أعلاه، فيعلم ان الله يراه، وليرى من بالمدينة نفسه فيرى كم هو ضئيل فصاح غاضبا . وهو يبتعد:« لقد أتيت من بعيد، وأنا أعرف هامتى على الارض. اما من يستحقون السماء، فليسوا الأقويا ء بل الاصفياء ».

وسار حائرا... ولايزال!!.

هكذا قدمت بخارى نفسها لجنكيز خان.. فى فلسفة تبين حقيقة الإنسان فى هذا الكون.. بخارى من منا لايعشق بخارى أرض البطولات والعلماء والابتلاءات..

فالى بخارى نرحل فى رحلة عبر الزمان والمكان .

خالد عزب

ص.ب.١٨٢

العتبه – القاهرة – ١١٥١١

موقع المدينة

كانت بخاري تحتل مكانة جغرافية جديرة بالاهتمام فى نظر العرب الفاتحين لقربها من خراسان، فيصفها الاصطخرى[١] بأنها اول الكور فى بلاد ماوراء النهر« فمن كان بها فخراسان أمامه، وما وراء النهر وراءه»[٢] واعتبرها الجند العرب الذين فتحوا خراسان زمن الراشدين[٣] نظروا إلي بخاري لقربها منهم وكونها بابا جديداً ينبغي اجتيازه للوصول الي عالم جديد لنشر الاسلام فيه.

وعرف عن بخاري أنها إحدى قصبتى الصغد باقليم ماوراء النهر، ويشير لسترنج[٤] الى الصغد بأنه كان يمثله مدينتان كبيرتان اولاهما بخارى عاصمته الدينية، وثانيهما سمرقند مركزه السياسى، ويظهر ان تبعية بخاري للصغد ترجع إلى أن نهر الصغد ينتهى إلى بخارى[٥]، غير أن ارتباط سمر قند ببخارى معروف منذ القدم وتؤيدة الجغرافيا ويدعمه التخطيط الهندسى لكل من المدنيتين فضلا عن الطرق والدروب التى تربط بينهما[٦]، مما ينهض دليلا على أن اجتياز بخاري يؤدي

بالضروره الي استطلاع مشارف سمرقند الأ مر الذي يزيد من أهمية بخاري في نظر الفاتحين العرب بطبيعة الحال.

أما التعريف العربى «بلاد ما وراء النهر» الذي أخرجة الجغرافيون العرب فيقصد به زمن القرن السابع الميلادي البلاد الواقعة فيما وراء نهر جيحون وعند شاطئة الأيمن، غير أن مدلولة سرعان ماتوسع بحيث شمل عند البلخى قسم من الشاطىء الأيسر بحوض النهر الأعلي «سيحون» الأمر الذي يشير الي اعتبار اجزاء مثل طخارستان والطلقان مكملة لبخارى منذ عهد السامانيين (٧). وتقع بخارى على شاطىء نهر زرفشان (نهر الصغد)، ونستدل من اشارات الاصطخرى (٨) أنها تقع عند نهاية هذا النهر، حيث يجرى فى أجزاء كثيره منها وبالذات الربض والأسواق.

وتتميز بخارى دون سائر مدن ماوراء النهر بهوائها الجاف المتقلب لقربها من المناطق الجبلية، شتاؤها طويل بارد، وربيعها ممطر وصيفها حار جاف، وخريفها يتميز بالنشاط، والمناطق الرملية المحيطة بها ذات هواء ساخن

وشتاء لفترة قصيرة الأمر الذى جعل الناس ينتقلون الى السهول والوديان الغربية التى تتوسطها المدينة نفسها ، ويعتبر الجزء الشمالى منها أخصب بقاعها لإحتوائه علي واد خصيب ·يؤدى الى سمرقند. ويتضح لنا من أشارات الجغرافيين أن نهر الصغد قد ميز الجهة الشرقية من بخارى، بحيث صارت أخصب مناطق بخارى، مما جعل تلك المنطقة منذ القدم مركزا رئيسيا للزراعة. فى حين يجاورها من الغرب صحراء خوارزم، ومن الجنوب منطقة جبلية يجاورها من الشرق وادى الصفانيان وقد ذكر بطليموس فى كتابه الملحمة . أن بخارى من جملة الاقليم الخامس، ويبلغ طولها سبعة وثمانين درجة، وعرضها أحدى واربعين درجة (٩).

نشأة بخارى

يشير ابو الحسن عبد الرحمن النيسابورى فى كتاب خزائن العلوم أن الثلوج التى كانت تذوب بالجبال بناحية سمرقند كونت الماء الكثير الى جانب ماء أخركثير كان يأتى من نهر بنفس الناحية، وظل هذا الماء الكثير يحمل الطمى إلى ناحية «بتك » و «فتك» (١٠) إلى أن طمر ذلك

الموضع الذى يقال له بخارى حيث تمهدت الأرض ، وأصبح ذلك النهر العظيم. الصغد [١١] ومما قيل أن الناس تدفقوا على ذلك المكان من ناحية التركستان [١٢]. وتكونت بمرور الوقت حول هذا الموضع مجموعة من الرساتيق.[١٣]. وظهرت المدينة بعد ذلك تبعا للتطور السياسى الذى طرأ على تلك المنطقة.

ويقال ان أسم بخارى مشتق من السنسكريتية من لفظة «دهار»

Ve hara وتعنى الصومعة أو الدير، ويرى البعض انه كان فى موضع المدينة معبد بوذى، منه جاء هذا الاسم[١٤].

فتح بخارى

كانت تحكم بخارى عند فتح المسلمين لها سيدة يطلق عليها لقب خاتون بمعنى «السيدة ذات المنصب اوالشرف الرفيع» وذلك بعد وفاة زوجها « بيرون » حاكم بخارى

أو « بخارخداة» لقب ملوك بخارى، وتولت الحكم نيابة عن طفلها «طغ شادة» ويقال عنها إنها كانت شديدةالحسن والدهاء ، وقوية التأثير والنفوذ، وكانت تعمل على رعاية بلادها صباح ومساء، وتستأثر لنفسها بالسلطان والرأى. كما كانت تتمتع بعلاقات قوية مع ملوك البلاد المجاورة.

وكان أول من وصل بلادها من المسلمين الفاتحين «عبيدالله بن زياد،فى عهد الخليفة الأموى» معاوية بن أبى سفيان. احتالت خاتون على عبيد الله وقالت له على لسان رسولها. لقد دخلت فى طاعتك، ولكنى أحتاج كمهلة أسبوعا، حتى أعد شعبى للأمر.. وأرسلت مع رسولها الهدايا والأموال .

وفى نفس الوقت أرسلت إلى ملك الترك رسولا تطلب منه العون على مقاومة «عبيد الله» المسلم ، وتحذره من مغبة استيلاء المسلمين على بخارى، لأن المسلمين يطمعون فى الشهادة قبل المال، وفى النصر على السلامة .

ومرت المهلة ولم يصلها المدد، فارسلت هدايا أخرى،

وأموالا كثيرة، تطلب بهما مهلة أخرى ، سبعة أيام. وفى المهلة الثانية وصلت جيوش ملك الترك، وبدأت المعارك بين المسلمين والأتراك . وهزم الأتراك وفروا، وأغلقت «الخاتون» أبواب بخارى، وجلست فى قصرها تنتظر مصيرها ودخل عبيد الله المدينة، وغنم المسلمون أسلحة كثيرة وأثواب الجند، وما وجدوه من فضة وذهب، وكان مما غنموه أحد خفى خاتون بجورية، وكان الخف والجورب مزينين بالجواهر والذهب الخالص، ويقال إن قيمتهما بلغت وقتها ٣٠,٠٠٠ درهم

أرسلت الخاتون رسولا إلى عبيد الله يطلب الأمان لها ولقومها، فأجابها «عبيد الله على طلبها»، وأخذ منها «مليون درهم» ثمنا للصلح ولما تولى سعيد بن عثمان إمارة «خراسان»، ذهب بجنوده إلى بخارى يستطلع أمر الرعية، فأرسلت له «خاتون» أموالا وقالت له إنى على عهد مع عبيد الله فوافقها سعيد على ماعاهدت علية سلفه «عبيد الله» وأعطاها وقومها الأمان .

ولكن جنودا من المدن المجاورة، لما سمعوا بنبأ مقدم سعيد بن عثمان هبوا لنجدة الخاتون، وللانتقام للأتراك الذين هزموا على يد عبيد الله، وبلغ قوام هذا الجيش

١٢٠,٠٠٠ جندي، وأرسلوا رسلهم إلى خاتون يعاهدونها على القتال إذا مانقضت عهدها مع المسلمين .

وراحت خاتون ترسل من يثيرالجنود المسلمين، ويتعهد التحرش بهم فى رواحهم ومجيئهم، وأخذوا يتعمدون إظهارعدم ولائهم لإلا سلام ، وضيقهم بهؤلاء القادمين الجدد فما كان من سعيد بن عثمان إلا أن أرسل لهارسولا يردلهاأموالها،ويخبرهاأن هذاالصلح لا ينفع ،وأن الله غالب على أمره.

أرسلت الخاتون جنودها لينضموا إلى جنود الترك، واصطف الجيشان، فلما رأى جنود الترك جيش المسلمين، ودارت بعض المناوشات الصغيرة بين الجانبين، سرى الفزع فى جيش الكفار، وأخذ الكفار ينسحبون كل إلى بلده ، وتركوا جنود «الخاتون» وحدهم فى الساحة.

أسرعت الخاتون تطلب الصلح من جديد، وتعلن التوبة عما بدر منها ، وتخبر سعيدا أنها أرغمت على الاشتراك فى هذا الجيش تحت ضغط الجنود الذين جاءوا من «صغد» و«كاش» «نخشب أو نسف -أوقرشى» وأرسلت أموالا أكثر، وهدايا أجمل وأزيد، وطلبت الأمان لمن طلبه .

ولكن لما فعلتة، فإنة طلب منها «رهائن» يصحبونه فى طريقة الى «صغد» وسمرقند للفتح ولتأديب جيوش «صغد» على مافعلوه مع جنوده أثناء إقامتهم ببخارى!

فأعطته «الخاتون» ثمانين من الأمراء والساده ليكونوا رهائن لديه، على أن يتركهم أثناء عودته من غزواتة.

وتحكى كتب التاريخ قصصا غريبة عن هذا الأمر، فهناك من يقول إن «خاتون» كان لها عشيق من غلمان زوجها « بيرون» وأن ابنها «طغ شادة» كان ابن هذا العشيق. وأن شائعات سرت فى المدينة وقت الحرب والهزيمة عن شرعية ولاية «طغ شادة» فى الحكم، وبالتالى عن شرعية «الخاتون» فى تولى الأمور نيابة عنه، وأن بعض الأمراء والسادة كانوا يعدون العدة لقتل «طغ شادة» وعزل «خاتون» وتولى أمور البلاد فلما جاء طلب سعيد ابن عثمان لرهائن، أرسلت «خاتون» خصومها السياسيين إلى سعيد، وضربت عصفورين بحجر واحد. فقد أمنت من سعيد الحرب، وأمنت من أمراء الداخل الفتنة .

وسار سعيد إلى «صغد» و« سمرقند» ففتحهما، وعين · لهماولاةمنقبله يحكمون باسم الخليفة، وعاد إلى بخارى.

ويقال أن«خاتون» وكانت أ مورها قد استقرت فى الداخل، أ رسلت الية من يطلب الرهائن، فشعر سعيد بالغدر منها ، ورفض أن يعيدهم حتى عبرجيحون.

وهناك أرسلت رسولا ثانيا: فرفض ثانية .. وهكذاحتى وصل إلى المدينة، وهناك جعلهم سعيد خدما ومزارعين، فعز عليهم الأمر، فقاموا علية ذات ليلة وقتلوه ، ويقال فى روايات أخرى: أن أمراء بخارى أ وكلوا الأ مرإلى بعض الرقيق الذين كان سعيد بن عثمان قد جلبهم معه من «سمرقند»! ومن الطرائف التى تحكى عن «الخاتون»، أن سعيدا مرض بعد أن عقد الصلح مع الخاتون، فذهبت لعيادتة ومعها كيس وقالت له، إننى احتفظ فى هذا الكيس بشيئين من أجل مرضى، ولكن سأعطيك واحدة منهما، وأ حتفظ بالأخرى لنفسى . ومدت يدها وأ خرجت «تمرة قديمة» وأعطتها له.

فتركها سعيد تنصرف وهى تعتقد أ نها قدمت له.

«سـر الشـفـاء»، وطلب من رجـاله أن يرسلوا إليـهـا فى قـصـرها خـمس جـمـال مـحـملة بـالـتـمـر، فلمـا رأت هذه الكمية، ذهبت إليه معتذرة وممتنة.

تولى مـسلم بن زياد الامـارة بعـد سـعيد بـن عثـمـان، وأرسـل جـيـشـة الـى بخـارى، فـقـامت «الخـاتـون» بطلب العــون من « طرخـــان» ملك «الصــقــد» ومـن الأمـــارات المجاورة، وعقدت صلحا من جانبها مع مسلم، وفتحت له أبواب المدينة والقصر، لكى لاتكرر معه ماحدث مع سعيد بن عثـمـان، مما قـد يجـعـلـه يحـتـاط أويعـرف خـديعـتـهـا فيعزلها.

وبينمــا هم فى المدينة، أتى الى مـسـلـم خـبـر وصـول الجـيـوش. فـاعلـنت «الخـاتون» أ نـهـا لاتعلم عن الأ مر شـيـاءاً ، وأن هـذه الجـيـوش جـاءت لمنع المسلمين من التـقـدم، وليـذودوا عن بلادهـم قـبل أن يصل المسلمـون إليها.

اغلق مـسـلم أبواب بـخـارى، وأرسـل أبا سـعـيـد المهلب ليـسـتطلع جـيوش الـعـدو، وطلب المهلب مـن مـسـلـم ! . إخفـاء أمرالاسـتطلاع عن الجنود، لئلا يسـرى الخبرعـبر

جواسيس الكفار إلى قائدهم ويصبح ومن معه فى خطر. إلا أن مسلما أخبر الجنود بالنبأ، ليحثهم على الاستعداد والتأهب، ولقلة حذره وخبرته بالأمور العسكرية.

وكـان الجـنود لايظنون الأمــركـمــا أراده المهلب، أى أن يظل سراً لكى لا يقتل ومن معه، ولاكما رآه مسلم أى أن يخـبـرهـم بقـرب النزال، وبأنه يسـتـعـد له كـمـا يجب، بل ذهب تفكيـر الجنود إلى« الغنائم» فهذا مايفكر فيه عادة بسطـاء الناس، والطـمع أقـرب إلـى النفــوس من التــدبر والشـجاعة.

وســرت شـائـعـات بأن المـهلب ذهب« ليـغـنم وحـده ، أوليـغـنم ومــسـلــم..، وحـدث أن خــرج بعـض الجـند دون استـشـارة من مسلـم إلى نهـر «خرقان» حيث كـان الأعداء على الضفة الأخرى، ليستطلعوا الأمر. فأبصرهم المهلب وعـرف مــاحــدث، ورأى الكارثـة مـحـيـقـة بهم، فـحـتـمـا سيعرف الأتراك أمرهم.

وكـان المهلب وهـو أبوسـعـيـد المهلب بن أبى سـعـيـد صــفــرة ظالم بن ســراق الأذدى الـعـتـكى (83-7هـ) (628-702م) أميرا بين قومه، كريما بين جنده، شديد

البأس على أعداء الاسلام والكفار، وقد قال فيه« الزبيربن العوام »، «أبوسعيدا لمهلب سيد أهل العراق»، فلما رأى المهلب الجنود قادمين، لم يدع الوقت يسرقة، ولا الندم يعرقلة، فقال لهم:

و«الله لتندمن على فعلتكم..» ،وجعلهم يقفون على أهبة الاستعداد للقتال، وكانوا تسعمائة فارس، وجنود الكفار ١٢٠,٠٠٠ جندى، ولم يمر وقت طويل حتى أحاط بهم جنود الأتراك، فنفخ المهلب فى البوق، ودارت معركة ساخنة مات فيها من المسلمين أربعمائة فارس، وانسحب المهلب مع الباقين بشجاعته وقدرتة على المناورة والقيادة.

وفى اليوم التالى عبر الأتراك النهر ووصلوا إلى مشارف بخارى حيث كان يعسكر الجنود، ولم يكونوا يتصورون أن الأتراك سيأتون خلفهم بهذه السرعة، خاصة بعد أن فرمنهم المهلب وبقايا كتيبته.

وتقدم المهلب إليهم واشتبك معهم، وأدرك أن الهزيمة ستلحقه، فصاح: «الغوث.. الغوث..المدد..المدد » وسرى النداء بين الجند، ووصل إلى مسامع مسلم، فسأل ماذا

حدث.؟ فقالوا له :

إن الهلاك يحيط بالمهلب وإلا ما استغاث ، فلنخرج إليه بالجند .

فطلب مسلم أن يتمهلوا قليلا، وأرسل بطلب الطعام. فصاحوا فيه:

« مرالرجال أن يذهبوا للحرب. الوقت للموت وليس للطعام» ولم يكن. مسلم رجل حرب، ولكنه لم يكن جبانا، فأمر الجنود بالخروج للقتال. ولما وصلوا إلى المهلب، كان يقاتل وجنده بشراسة اليائس، وإيمان الواثق بالجنة،وشجاعة الراغب فى النصر، وما أن ظهرت بشائر قوات مسلم، وثب الجنود على الأتراك بروح من انتصر بإذن الله، وقتلوا ملك الأتراك، وكبروا مهللين بالنصر وراحت الغنائم تنهال على المسلمين، وأصاب الجنود منها الكثير.

وعرفت الخاتون بما جرى، فأرسلت تهنىء « مسلما » على النصر، وتغدق عليه الهدايا لفرحتها، وهى تضمر الحقد والندم والغيظ على فشلها المرة تلو الأخرى.

قتيبة في بخارى

عندما تولى القائد المسلم العظيم « قتيبة بن مسلم» ولاية خراسان، توجه الى بخارى، فرأى أهلها يسلمون ظاهرا ويعبدون الأصنام فى الباطن، وثلاث مرات غزاهم المسلمون، ووجد سلوكهم واحدا لايتغير، وفى الرابعة كر عليهم ودخل المدينة.[١٥] أسهم قتيبة فى تدعيم الصلات بين المسلمين والترك بمقتضى الصلح الذى صالح به البخاريين على سبعمائة ألف درهم، وضيافة المسلمين ثلاثة أيام[١٦]. بمعنى أن يقوم أهالى بخارى بضيافة من ينزل عليهم من الجنود العرب خلال هذه الفترة المحددة، ولايخفى علينا ما لهذه السياسة من أهمية فى خلق فرص أمام العرب للاندماج مع الترك فى بخارى.

ويرجع الفضل إلى قتيبة بن مسلم فى اسكان القبائل العربية واستقرار افرادها استقرارا حقيقيا فى مراكز ثابتة فى بخارى، فقد دعا هذا الفاتح العظيم حينما صالح أهالى بخارى إلى تخصيص جزء من منازل بخارى للمسلمين والجند العرب على ان يكفلوا تقديم العلف

لخيل العرب ويرسلوها مع شخص خارج المدينة، وتشير المراجع الفارسية إلى أن ظهور العرب فى بخارى لم يأت إلابعد أن صالح قتيبة أهلها وأتم فتوحاته فى هذا الأقليم[١٧].

وكان قتيبة بن مسلم يعول على تسكين العرب البلاد المفتوحة فيما وراء النهر بعد اتمام عمليات الفتح، وكان يفضل اسكانهم فى المدن الكبرى، فأورد النرشخى أنه قد استهدف من وراء تخصيص منازل للعرب فى هذه المدن نشر الاسلام، وأمر أهل بخارى بأن يعطوا نصف بيوتهم للعرب ليقيموا معهم ويطلعوا على أحوالهم. فيظلوا مسلمين بالضرورة، الأمر الذى ينهض دليلاً على أن قتيبة كان يدرك أهمية العامل الأجتماعى فى الترويج للدعوة الى الاسلام، ويذكر ابن كثير[١٨] عن قتيبة أنه (قد هدى الله على يديه خلقا لايحصيهم الله، فأسلموا) واتبع قتيبة بن مسلم سياسيةفى توطين العرب تنطوى على تأثيرات قبلية فخصص بها جزءاً لربيعة وأخر لمضر وثالث لليمنية، وجعل للقائد ابن أيوب بن حسان محلة كوى كاخ (محلة القصر) لظروف أملتها عمليات

الفتح(١٩) وحرص قتيبة على أن تكون بيوت العرب فى داخل بخارى فى جهة باب المجوس (وهو أقوى الأبواب) وله حزام كبير طوله ستون قدما، ويبدو أن تلك الجهة كانت قبل الإسلام للمجوس والوثنيين، الذين مثلوا الأغلبية بين أهل بخارى الأمر الذى يعكس رغبة قتيبة فى أن تؤدى هذه السياسة إلى ازاحة آثار هذه العقائد القديمة.

اتجهت السياسة العربية فى بخارى نحوا اجتذاب الأهلين لأفساح المجال لرواج تعاليم الإسلام، وأول ما يقابلنا من سياسات الحكام العرب فى هذا المضمار ابقاؤهم على من بقى من اعضاء الأسرة الحاكمة فى بخارى فى مناصبهم، من ذلك، أن العرب تركوا أمير بخارى طغ شادة فى منصبه، وجعله يحكمها حتى نهاية عهده سنه ٩٦هـ، ولم يغيرخلفاؤه هذه السياسة من بعده، فقد ظل طغ شادة هذا على بخارى حتى عهد الوالى نصر بن سيار، فملكها اثنين وثلاثين عاماً فى ظل الحكم الاسلامي(٢٠) وجنى قتيبة ثمار سياستة هذه، فقد اظهر طغ شادة اسلامه بتأثير هذه السياسة التى كفلت له

البقاء فى الحكم، وانجب وهو فى الاسلام ولدا أسماه قتيبة حبا فى قتيبة بن مسلم (٢١) وخرج من بيت طغ شادة من اعتنق الأسلام واتخذ منه عقيدة راسخة.

وقضت سياسة العرب تعيين عمال من العرب إلى جانب أمراء الترك فى البلاد المفتوحة فيما وراء النهر، فجعل قتيبة مع طغ شادة أيوب الأ نصارى أميراعلى بخارى(٢٢)، ولسنا نعرف على وجه الدقة مدى ماكان يتمتع به هذا الأمير من نفوذ، لكن النرشخى أظهر ضمن اشاراتة الغاء العمل بذلك النظام زمن العباسيين حينما أشار الى انفراد الأمير أبى جعفر الروافقى سنة ١٥٠هـ بحكم بخارى دون أن يشاركه أحد من الأمراء المحليين الترك الذين عرفوا زمن بنى أمية، وكان ذلك الأمير يسلك سياسة قابضة ويسيطر على مقاليد الحكم، ويتدخل فى توزيع الأراضى والإشرف على السجلات.

ولم يغفل قتيبة أهمية بناء المسجد رمز السيادة الإسلامية والدعوة اليه بين البخاريين، فاتخذ موضعا للأصنام فى بخارى وأقام علية أول مسجد جامع سنة

٩٤هـ وكان يدرك ان الاسلام كان لايزال جديدا على الناس فضلا عن خطوره مردة المجوسية الذين أحاطوا بالمدينة بالخارج، وكان قد شجع الترك على الدخول فى الاسلام بأن أمر مناديه بالخروج كل يوم جمعة ليعلن بينهم عن منح كل من ياتى لصلاة الجمعة درهمين، وكان من أثر ذلك أن ازدادت رغبة الناس فى الإسلام، وكان من أثر ازدياد الراغبين فى الاسلام أن ضاق هذا المسجد بالمصلين[٢٣]، وظل الأمر على تلك الحال إلى أن أضاف إليه ووسع فيه الفضل بن يحيى البرمكى الذى تولى خراسان سنة ١٧٨هـ زمن الخليفة هارون الرشيد[٢٤]، واهتم ببناء المساجد فيها، وأحس معاملة أهلها.

ويرجع الفضل إلى قتيبة بن مسلم فى احلال المساجد محل معابد الأصنام[٢٥]، فضلا عن قيامة بافساح المجال لبطون القبائل باتباع ما جرت به العادة من أن يقوم كل بطن ببناء مسجد للصلوات الخمس، وهكذا عرف مسجد بنى حنظله[٢٦]، ومسجد بنى سعد[٢٧].

ومما يجدر ذكره أنه كثيرا ما كانت المساجد فى

نواحى بخارى تقام فى الأسواق أو قريبا منها الأمر الذى يعكس أهمية العامل التجارى فى مجال الدعوة إلى الإسلام، ويظهر نسقا لتشجيع البخاريين على اعتناق الإسلام، بدليل أن الأسواق كانت تكثر كل يوم جمعة حيث يهبط الناس من خارج بخارى إلى هذه الأسواق أيام وسط الشتاء[٢٨]، بل ظهر بمرور الوقت المساجد على راس الطرق، التى تربط بين المدن فيما وراء النهر[٢٩]

وتميز المسجد فى بخارى على عهد قتيبة بالبساطة، واستخدم فى بنائها الآجر ولنضرب مثلا بالمسجد الذى أقيم بناحية «فرب» من بخارى الذى بنى بالآجر دون استخدام الخشب فى حين أضيفت الى المسجد الجامع الذى بناه قتيبة فى بخارى سنة ٩٤ هـ أبواب خشبية نقلت إليه من قصور الأغنياء بخارج المدينة [٣٠]. أما عن تصميم المسجد فى بخارى فى تلك الفترة المبكرة فلا يختلف عن تصميم المساجد الأولى فى الإسلام، فكان يشمل زمن بنائه الأول على رواق للقبلة وساحة [٣١] وادخلت عليه عدة تحسينات على يد الفضل بن يحيى البرمكى، حيث أمر باستخدام القناديل فى إضاءته، وزاد

عليه الأمير السامانى إسماعيل بن أحمد(٢٧٩-٢٩٥هـ) بمقدار الثلث، أما المئذنة فقد أضيف إلى ذلك المسجد فى سنة ٣٠٥ هـ.

ويظهر أثر الفن الساسانى فى العمارة الاسلامية فى بخارى فالأبواب التى كسيت بالزخارف ونقلت إلى مسجد قتيبة من قصور الأغنياء، تمثل الأساليب الفارسية، غير أن العرب تخلصوا من الرسوم التى لاتتفق والمقتضيات الإسلامية، ثم تأثروا بمرور الوقت بهذه الألوان الفنية وهضموها، ومما ساعد على ذلك أن معابد الأصنام فى بخارى كانت تشمل مظاهر معمارية تماثل ما تحتوى عليه المساجد من مظاهر، كالصحن وبوائك الأعمدة، وكان من أثر ذلك أن ظهر فى وقت لاحق فن اسلامى خالص ينطوى على انفعال العرب بالمؤثرات الفارسية، ولعل مسجد بيكند ببخارى يعد نموذجا لهذا التمازج، وذكر عنه ياقوت الحموى «قد زخرف محرابه، فليس بما وراء النهر محراب مثله ولا أحسن زخرفة منه..» (٣٢). ومما يجدر اعتباره أن قيام المسجد فى بخارى

بوظيفته فى المجال العقائدى قد واكبه ازدياد ملموس فى الإقبال على الاسلام من جانب البخاريين الذين بلغ بهم الأمر أن حاكوا العرب فى بناء المساجد، وخرج من بخارى كوكبه من خيرة علماء الأمة حتى صارت بخارى مدينة العلماء. وصارت فى القرن الثالث الهجرى مقصدا لطلاب العلم والعلماء حيث كان المتخصصون بها يعقدون حلقات التدريس فى أصول الأدب والمنطق والرياضيات والعلوم الطبيعية إلى جانب العلوم الدينية(٣٣) ومن الثابت أن دور بخارى فى مجال العلم والأدب الذى نبع من جهود علمائها المشكورة كان من أسباب تسميتها بقبة الاسلام .

وأهم ما يقابلنا من سياسات حكام المسلمين تجاه البخاريين، تشجيعهم للنشاط التجارى، وهذا النوع من المناشط كان يمثل أمرا محوريا للأهلين تدور حوله أمورهم الحياتية، ونستخلص من المصادر أن الربط التى كان يقيم فيها الغرباء بين أهالى بخارى كانت تسهم بشكل فعال فى رواج التجارة، وتنشيط التبادل بين أهالى بخارى وسائر نواحيها والاقاليم المجاورة لها (٣٤)أما مجال التجارة الخارجية فقد عول البخاريون على

الاهتمام به- وبالذات-منذ أن استقر العرب فى بخارى، فأخذوا يقصدون الطرق التجارية القديمة إلى بلاد الصين، وكانت بخارى همزة الوصل بين قوافل الصين وقوافل العراق وايران وآسيا الغربية (٣٥)

وأوجد ذلك كله فرصة أمام التاجر المسلم والمطوعة للجهاد فى سبيل نشر الدعوة، وساعد على ذلك أن الصين منذ عهد أسرة تانغ (٦١٨-٩٠٥م) لم تكف عن الرغبة فى نشر اطماعها فى بلاد ما وراء النهر لما لهذه البلاد من ثراء ملموس جعل الجغرافيين والرحالة أمثال اليعقوبى وابن رسته والقزوينى يسهبون فى الحديث عن خصوبه هذه البلاد ووفرة مزارعها ضمن كتاباتهم.

بخارى عند الجغرافيين المسلمين

بخارى.. حاضرة اقليم ماوراء النهر منذ عهد السامانيين، تشير إليها كتب. الجغرافيين المسلمين إلى أنها كانت أعظم مدن العالم الاسلامى كله، بفضل ما كانت تزخر به من منشآت فخمة، إلى جوار ما حباها به

الله من رونق وبهاء. ولقد أشاد الرحالة بذكر بساتين بخارى الفسيحة بثمارها. وناهيك بثمار البرقوق الذى تذيع شهرته منذ آلاف السنين حتى اليوم، فهو أفخر ثمر من نوعه بآسيا. ولم تكن بخارى تمتاز بخصائصها الطبيعية فحسب، بل كانت كذلك سوقا رئيسيا تلتقى فيه تجارة الصين وآسيا الغربية مع المشرق، فضلا عما كان بها من مصانع كبيرة للحرير والديباج والمنسوجات القطنية وأجود أنواع الأبسطة والمصنوعات الفضية والذهبية من كل نوع. وكانت كذلك مركزا مهما للصيرفة يستبدل فيها سكان آسيا الشرقية والغربية سكتهم بواسطة أهلها حتى لتسمع هناك إلى اليوم المثل القديم «أشد يقظة من سمسار بخارى».(٣٦)

الدمشقي

يركز الدمشقى على وصف الموقع الجغرافى للمدينة فيذكر أنها تلى سمرقند ويحيط بها قصور وبساتين وقرى ومسافتها اثنى عشر فرسخا ويحيط بذلك كله سور واحد ولها ربض (أى ضاحية) يشقه - نهر الصغد

وهذا النهر قدر الفرات ينبعث من الجبل الأوسط من جبال اليتم ويجرى حتى يحيط بها سور حصين ولها قهندز خارج المدينة متصل بها ومقداره مدينة صغيرة وفيه قلعة بها مسكن آل سامان ولها ربض والمسجد الجامع على باب القهندز وليس بخراسان وما وراء النهر اشد ازدحاماً من بخارى (٣٧).

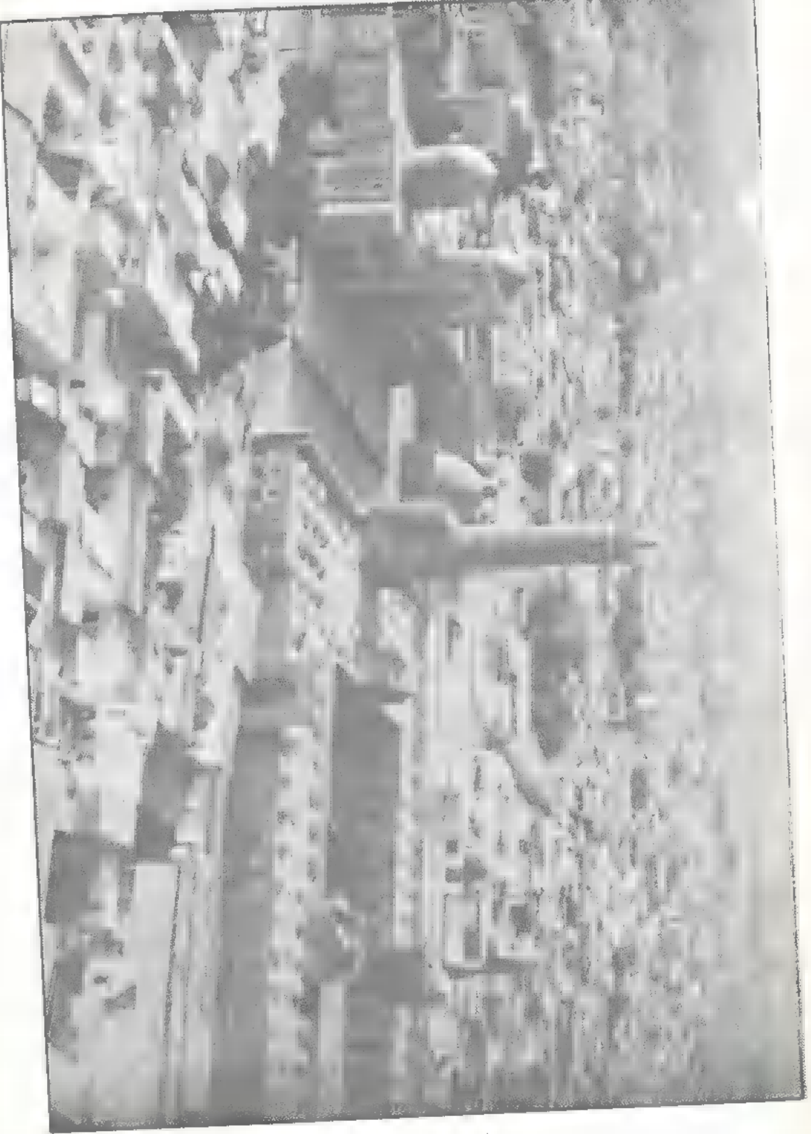
ياقوت

وصف ياقوت بالتفصيل موقع المدينة غير أن سحرها قد سلب لبه، فنقل ما يلى عن احد الجغرافيين المسلمين وأما نزهة بلاد ما وراء النهر فانى لم أر ولابلغنى فى الاسلام بلدا أحسن خارجا من بخارى لأنك اذا علوت قهندزها (مركز الحكم بالمدينة وهو اقرب إلى دار الامارة) لم يقع بصرك من جميع النواحى الاعلى خضرة متصلة خضرتها بخضرة السماء فكأن السماء فيها خضراء مكبوبة على بساط أخضر تلوح القصور فيما بينها كالنواوير فيها وأراضى ضياعهم منعوته بالاستواء كالمرآة وليس بما وراء النهر وخراسان بلدة أهلها أحسن

قياما بالعمارة على ضياعهم من أهل بخارى ولا أكثر عددا على قدرها فى المساحة وذلك مخصوص بهذه البلدة لان منتزهات الدنيا صغد سمر قند ونهر الابلة..
ويستمر فيصف المدينة نفسها بأنها على أرض مستوية وبناؤها خشب مشبك ويحيط بهذا البناء من القصور المساكن والمحال والبساتين التى تعد من القصبة (اى مركز المدينة أو شارعها الرئيسى) ويسكنها أهل القصبة شتاء وصيفا وسور آخر نحو فرسخ فى مثله ولها مدينة داخل هذا السور.

وكانت معاملة أهل بخارى فى ايام السامانية بالدراهم ولايتعاملون بالدنانير فكان الذهب كالسلع والعروض.. وكان بسكتها تصاوير وهى من ضرب الاسلام. (٣٨) ويعطينا وصف ياقوت الحموى صورة واضحة لتخطيط المدينة فى الفترة الاسلامية الأولى التى انتهت باحتلال المغول لها، فهى كمعظم مدن بلاد ما وراء النهر تتكون من مدينة ذات سورين واحد خارجى يشمل المدينة وضواحيها وآخر داخلى يضم مركز الحكم والمسجد الجامع وبعض المنشات الهامة وهو ما يطلق عليه القهندز وهذا التخطيط نراه فى خيوة، وسمرقند

وعيرها من مدن آسيا الوسطى كما نراه فى مدينة بغداد التى اختطها ابو جعفر المنصور كعاصمة للدولة العباسية فهل تأثرت بغداد بهذا النوع من طراز تخطيط المدن هذا ما أرجحه. وقد وصف بخارى أيضا عدد كبير من الجغرافيين المسلمين ولكنهم لم يضيفوا اضافات ذات بال كالقزوينى[٣٩] والحميرى[٤٠]. غير وصف دخول المغول المدينة وما آل إليه حالها بعد هذا الغزو.



منظر عام لمدينة بخارى

بخارى .. المدينة الحية

بخارى .. مدينتى التى أحبها ويحبها كل مسلم .. كم مرة تعرضت لمحنة.. ولكنها هى المدينة الصامدة.. المدنية الحية .. التى سرعان .. ماتنفض الغبار عن كاهلها .. غبار الهزيمة والمحنة.. وتحيا من جديد لتكون قبلة أهل الاسلام.. ومدينة العلماء..

المحنة الأولى

مرت على بخارى بعد سقوط الطاهريين (وهم كانوا يحكمون تحت ظل الخلافة العباسية) نفس الظروف القاسية التى مرت بها مدن ما وراء النهر، فلم تعرف حاكما قويا يبعث الطمأنينة فى نفوس الأهالى، وفى بداية عام ٨٧٤م وصل إلى بخارى قادما من خوارزم الحسين بن طاهر الطائى، ويرى بارتولد المؤرخ الروسى المعروف أنه ينتمى لأسرة الطاهريين، وقد قاومة الأهالى ولكنه استطاع بعد قتال دام خمسة أيام أن يستولى على

المدينة، فارتكب جنوده الخوارزميون كل ضروب الفساد وأحرقوا قسما كبيرا من المدينة. وقد وعد الحسين الأهالى بالعفو التام، فلما أطمأنوا إلى وعده وتفرقوا عاد فنكث بقوله فانفجرت الثورة من جديد وحوصر الحسين فى قصره واضطر الى الهرب ليلا تاركا وراءه المال الذى كان قد جمعه من الأهالى فتقاسمه الثوار فيما بينهم .

«واغتنى منه أناس كثيرون فظل أثر هذا فى أعقابهم» .

وبعد رحيل الحسين تجددت الاضطرابات والفتن ببخارى فاجتمع أهل العلم والصلاح حول أبى عبد الله بن أبى حفص الفقيه المشهور ، فنصحهم بأن يلتمسوا العون من نصر بن أحمد الذى بعث إليهم بأخيه اسماعيل فلما بلغ اسماعيل كرمينيه خرج أبو عبد الله بنفسه لاستقباله وطمأنه كثيرا على مستقبله كما يروى المؤرخون ومنذ[٤١] أن دخل اسماعيل بخارى صار أميرا لها قامت دولة السامانيين بها.. وشهدت أكثر عهودها ازدهارا.

المحنة الثانية

المغول.. المغول اسم آثار الرعب فى بلاد ما وراء النهر. فهم أصحاب المذابح البشرية الرهيبة التى أقاموها لاهالى هذه البلاد.. فماذا فعلوا ببخارى.

فى عام ١٢٢٠م.. زحف جنكيزخان إلى بخارى بعد أن أحرز انتصارات باهرة فى طريقة إليها. وكان أول ظهوره فى اقليم المدينة ببلدة سرتاق إلى الشمال من بخارى بوغت سكان هذه البلدة الصغيرة بظهور المغول عندها قادمين من الصحراء وكأنهم قد سقطوا عليها من السماء فلم يدركوا مدى الخطر الذى أقبل عليهم وأخذوا يستعدون للمقاومة فعلا. حتى اذا ما أقبل عليهم رسول المغول، على الرسم المعتاد، وبين لهم ما سوف يتعرضون له من سيوف الأعداء ونيرانه رأوا آخر الأمر أن السلامة فى الاستسلام. أما من كان يحمل منهم السلاح فقد ضم إلى الجيش الفاتح قسرا، كما سوى حصن المدينة بالأرض، وأما السكان المسالمون الذين كانوا قد خرجوا إلى ظاهر المدينة بخيولهم ونبالهم فقد أذن لهم بالعودة إلى ديارهم سالمين. وما غدا المغول من بعد ذلك

أن اطلقوا على المدينة اسم قتلق بالق «المدينة السعيدة» بدلا من سرتاق. وكان ثانى مكان استولى عليه جنكيز فى منطقة بخارى. ومن بعد ذلك توجه إلى بخارى فنزل بظاهرها أوائل المحرم من عام ٦١٧ هـ/ ١٢٢٠م وبدأ من فوره يعالج متاريس حصنها الخارجية. ولم تكن بخارى، وقد بلغها فى الغالب أخبار المجازر التى جرت من قبل تمهيدا لمعركتها الكبرى، غير مستعدة بالكاد لهذا الهجوم العنيف الذى كان عليها أن تواجهه. وكان بداخل أسوارها عشرون ألف رجل عليهم كوكخان (وكان من مهاجرى المغول أو من الا ويغور فى الغالب) وسوينج خان وكشلى. ومن الصعب أن نتصور مدى ما كان هؤلاء يظنون أنهم قادرون عليه بازاء المغول الذين كانوا يتفوقون عليهم بمئات ومئات. على أية حال فقد بادروا بالهجوم على اعدائهم ولكنهم سحقوا عن آخرهم الا قليلا منهم استطاعوا أن يفروا إلى المدينة . ليسارع الأهلون عند ذلك، وقد أخذ منهم الرعب مأخذه، بارسال وفد من أعيانهم يسألونه الصفح، وصحب هذا الوفد الفاتح المغولى فى دخول المدينة.

ولفت نظر جنكيز لدى ولوجه فيها المسجد الجامع الفخم، وكان السامانيون قد بذلوا فيه كثيرا من الأموال ليبدو فى أروع صورة، فدخله بفرسه ووقف بازاء المنبر. وظنه أول الأمر قصر السلطان. حتى اذا ما قيل له بأنه دار عبادة نزل عن دابته ورقى بضع درجات بالمنبر ثم دعا المغول الذين كانوا يقفون من خلفه إلى أن يطعموا خيولهم وكان العلف قد أعد ولنا أن نتصور كيف تلقفوا الاذن لهم باعمال النهب فى المدينة بمسرة بالغة، وكيف سقط من بعد ذلك هؤلاء الهمج على مدينة بخارى البائسة . وسحر ألبابهم ما كانت عليه عاصمة بلاد ما وراء النهر هذه من الترف، فلم يكتفوا بنهب كل دار وكل قمطر بل حملوا معهم كل ما صادفهم من أنواع المتاع فلم تفلت من أيديهم الآثار المقدسة مع قلة قيمتها المادية، فمزقوا المصاحف واتخذوا من أوراقها فرشا لدوابهم، وجعلوا من قمطراتها وصناديقها مذاود لخيولهم.

وسيق كبار الشيوخ والعلماء البارزون ليقوموا بخدمة الجند فى مجالس الشراب أو ليؤدوا لهم الرقصات، وفق رسم المغول، على توقيع الآلات الموسيقية، وكان من

هؤلاء الفقهاء الأجلاء من دفع به كذلك ليسوس البغال.

هذا هو ما وصل إلينا من تدوين المؤرخين المسلمين فى هذا الشأن. وقد يكون هناك بعض المبالغة فى وصف ما عمد إليه المغول من امتهان شعور القوم الدينى، إلا أنه ما من شك فى أن بخارى قد تعرضت لمعاملة بالغة القسوة ومرت فى تجارب مريرة خلال هذا الغزو.

لم يمكث جنكيز خان بالمدينة الا ساعات قليلة. ثم خرج إلى المصلى بظاهر السور حيث كان الناس جميعا قد جمعوا له، فسأل عن أعيانهم، فبرز له من بينهم ثمانون ومائتان فيهم تسعون ومائه من أهل المدينة وتسعون من الغرباء هم تجار فى الغالب. هنالك التفت إليهم وأخذ يندد فى شدة بما يرتكبه السلطان محمد خوارزم شاه من مظالم ليقول لهم من بعد ذلك:

«اعلموا انكم قد اقترفتم كثيرا من الآثام وأن وزرها انما يقع على أمرائكم، واذا سألتمونى عمن اكون أنا الذى أخاطبكم فاعلموا أنى أنا سوط الله الذى بعثنى إليكم، لأنزل بكم عقابه، وأريد منكم النقرة (اى النقود) التى باعكم خوارزمشاه اياها فانها لى ومن أصحابى أخذت

وهى عندكم».

ولم يفته من بعد ذلك أن يعهد إلى حرس نصفه من الأتراك والنصف الآخر من المغول ليقوم على حراسة أعيان المدينة حتى لا يلحق بهم ضرر أو أذى. وظلت الأمور تجرى على هذا الحال حتى ظهر بالمدينة نفر من جند السلطان محمد كانوا مختبئين بها، فأزعج ظهورهم جنكيز خان وأمر بالقبض عليهم وتسليمهم له. على أن أهل بخارى كانوا أبعد ما يكون عن أن يلبوا رغبة ذلك الفاتح، فلم يتستروا عليهم فحسب بل ساندوهم كذلك فى غاراتهم الليلية وكذلك ما كانوا يدبرون من التامر بالعدو فى السر، حتى نفذ صبر جنكيز آخر الأمر فأمر باشعال النار فى المدينة. ولما كانت أبنية بخارى أغلبها من الخشب، لم تمض أيام قليلة حتى تحولت كلها إلى رماد. اللهم إلا بعض مساجد وقصور مبنية بالحجارة ظلت قائمة بين خرائبها. وانقلبت هذه المدينة العامرة إلى كومة من الأطلال على زرفشان، ومع هذا فقد ظلت الحامية بالقلعة يقودها كوكخان تدافع عنها فى بسالة جديرة بالاعجاب. وعمد المغول إلى استخدام كافة الوسائل الممكنة لاخضاع ملاذ أعدائهم الأخير هذا، حتى دفعوا

بالبخاريين أنفسهم إلى تسلق سلالم الأسوار، ولكن لم يجدهم ذلك كله فتيلا. ولم تسقط القلعة الا بعد أن امتلأ الخندق المحيط بها بجيف الرجال والدواب هنالك سيق المدافعون الأبطال إلى الموت. وتعرض السكان المسالمون بدورهم إلى البلاء بسبب هذه المقاومة الفذة، فقتل منهم ثلاثون ألفا واسترق من بقى منهم، خاصتهم وعامتهم على السواء، الا الطاعنين فى السن منهم. وهكذا انتهى حال أهل بخارى إلى أحط درجات البؤس والشقاء وفرقوا فى الأرض وهم الذين ذاع صيتهم زمنا طويلا بما كانوا عليه من كلف بالعلم والفنون، وما شاع عنهم من مكارم الأخلاق. وافلتت قلة قليلة من السكان من هذا الخراب الشامل. وبلغ واحد من هؤلاء فى فراره خراسان وحين سأله الناس عما صار إليه أمر مدينته أجابهم عن ذلك بأن أنشد ذلك البيت البليغ من الشعر الفارسى الذى اشتهر من ذلك الوقت.

آمدند وكندند وسوختند

وكشتند وبردند ورفتند

قدموا فدمروا وحرقوا

وقتلوا ونهبوا ثم رحلوا

ويصف ابن الأثير هذا الحال فيقول:

«كان يوما عظيما من كثرة البكاء من الرجال والنساء والولدان، تفرقوا كل أيدى سبيا وتمزقوا كل ممزق ، واقتسموا النساء أيضا، وأصبحت بخارى خاوية على عروشها كأن لم تغن بالأمس، وارتكبوا من النساء العظيم والناس ينظرون ويبكون ولا يستطيعون أن يدفعوا شيئا مما نزل بهم. فمنهم من لم يرض بذلك فقاتل حتى قتل، وممن فعل ذلك واختار أن يقتل ولا يرى ما نزل بالمسلمين الامام ركن الدين امام زاده وولده القاضى صدر الدين خان، ومن استسلم أخذ أسيرا» (٤٢).

ونهضت بخارى سريعا بعد استيلاء المغول عليها، بل ووصلت فى خلال الثلاثين سنة الاولى من حكمهم إلى درجة من الازدهار لم تبلغها من قبل. وقد وصفها الجوينى فأكد أن لامثيل لها فى العالم الاسلامى. ولم تؤثر الثورة التى قامت بها ضد المغول ١٢٣٨/١٢٣٩م، على عمرانها وازدهارها فقد استطاع محمود يلواج أن يقنع المغول وبخاصة او كتاى بان لاصالح للدولة فى تدمير مدينة غنية كبخارى ثأرا لجرائم بعض المتمردين، غير أن المغول دمروا عن عمد المدينة ستة ١٢٧٣م (اى فى عهد أباقا خان) لأنهم توهموا أنها قد تصبح قاعدة لهجوم يقوم به خصومهم من تركستان ليستولوا على

ايران.[٤٣] وسرعان ما استردت المدينة مرة أخرى عمرانها.

التسلل الروسي

وصفت بخارى فى القرن التاسع عشر بأنها من أعظم مدن أسيا وقاعدة خانية بخارى، سكانها ١٠٠٠٠٠ وقيل يبلغون ١٥٠٠٠٠ وهى فى وسط سهل خصب يحيط بها سور ذو بروج وله ١١ بابا ويبلغ محيطة من ١٢ إلى ١٤ كم واتفاعه ٨ امتار فى سمك مثله. وفيها كثير من الأبنية الحسنه و ٢٦٠ جامعا ومسجدا أو نحوذلك و١١٣ مدرسة يدرس فى بعضها الفقه والحديث والطب. وفيها ٢٨ خانا و١٥ سوقا و١٦ حماما و٦٨ بئرا وهذه الآبار كثيرة الطول والعرض قليلة العمق وأحسن جوامعها جامع فى ساحة راجستان أمام قصر الخان مساحة موضعه ١٠٠ متر وعلوقبته ٦٠م. وفى وسط هذه المدينة رابية تسمى نومشكند يبلغ علوها من ٦٧ إلى ٨٠ مترا ويحيط بها جدار وعليها قصر الخان وهو قديم بنى منذ عشرة قرون أو أكثر، وجامع ولعلها القهندز (اى مركز الحكم) وفى

هذه المدينة معامل لنسج القطن وحوك الطواقى واصطناع ورق الحرير وهو معروف عندهم من سنة ٦٥٠ من الميلاد ومعامل للأسلحة ونقش الأقمشة وغير ذلك. وفيها تجارات واسعه إلى روسيا وايران وكابل وغيرها[٤٤].

حكم سلسلة من الامراء الاوزبك خانية بخارى فى القرن التاسع عشر، وقد انغمسوا فى الترف والرذائل، بل وفى حرب بعضهم البعض طمعا فى الاراضى والالقاب ولم يلتفتوا إلى الخطر الأجنبى الذى بدأ يجثم على بلا ما وراء النهر، فقد دأب الأمير مظفر الدين على مهاجمة ما يجاوره من امارات، ولقد كان هذا الأمر مقبولا لو أنه كان يرمى، من وراء هذا الفتح إلى توحيد قوات هذه البلاد مع قواته للوقوف فى وجه الغازى الأجنبى عند حوض نهر سيحون الأدنى.

ولكن هذا الأمير يفتقد بعد النظر السياسى،اذ كان هدفه من عملياته هذه، التى أملتها عليه أطماعه الخرقاء وجشعه، أبعد ما يكون عن العمل على الحفاظ على مصالح المسلمين، فلم يجلب سلوكه هذا عليهم الا الهزيمة.

لقد تعاون بعض المسلمين مع الروس كحكام القرغيز احيانا بينما صمدت حامية مدينة آق مسجد، وكان الروس فى أول الأمر يشنون هجمات محدوده على حدود المسلمين إلى أن تدربوا على طبيعة الحرب فى هذه البلاد فشنوا سلسلة من الهجمات المتتالية. ففى عام ١٨٥٢م خرج الكولونيل بلارمبرج مع فرقة من الجند فى رحلة استطلاعية نحو حصن اق مسجد، ودنا من أسواره فى حفنة من رجاله. ولكنه فشل هذه المرة، وكرر المحاولة العام التالى ونجح فى الاستيلاء على الحصن. ودافعت حامية هذا الحصن دفاعا مجيدا، وكانت الفرصة مواتيه امام أمراء بلاد ما وراء النهر لاسترداد ما استولت عليه روسيا من بلادهم، وذلك بين عامى ١٨٥٣ و١٨٥٦م حين كان الروس قد وحدوا كل جهودهم وركزوا كل قواتهم فى حرب القرم ضد الدولة العثمانية.

ووجدت روسيا فى أشد أوقات محنتها أن مستعمراتها فى هذه البلاد فى أمن شديد، بالرغم من أن الدولة العثمانية أرسلت مبعوثين لكل من امراء خيوه وبخارى لينبهوا أمراء هذه البلاد لتأمين سلامة بلادهم واستقلال

ديار الاسلام.. ولكن هيهات - هيهات.. ولو أنهم التفتوا إلى ذلك الخطر الذى يتهددهم وتنبهوا له بالائتلاف معا اذ ذاك، لاستطاعوا بلا كبير عناء أن يستردوا ما ضاع منهم من حصون، بل وأن يطردوا الروس كذلك إلى مشارف السهوب الشمالية، كان الزعيم القرغيزى عزت كوتبير نجح فى القضاء على نفوذ الروس فى القبيلتين «الصغيرة والمتوسطة» ولا أدل على عدم ادراك خطر روسيا من قبل حكام بلاد ما وراء النهر من أنهم وقفوا موقفا سلبيا من هذه التحركات.

وأخذ الروس يتقدمون فى بلاد ما وراء النهر ويستولون على حصونها حصنا حصنا.. ومدنها.. مدينة.. مدينة، حتى أدرك مظفر الدين أمير خانية بخارى أنه قد آن الأوان لكى يعيد النظر فى سياسته ويقيم بعض العراقيل فى طريق جيش الاحتلال الروسى. فخرج أولا إلى خوقند فى مايو ١٨٦٥م لتأديب القبجاق، وذلك على اثر شائعة كاذبة انتشرت فى بخارى مفادها أن هؤلاء بموقفهم السلبى، قد عاونوا الروس على تنفيذ خططهم. وكان هذا القول محض اختلاق فى الواقع، ذلك

أن القبجاق كانوا هم أنفسهم الذين قاوموا الروس ببسالة حتى سقط زعيمهم الشجاع عالم قل أمام طشقند. واستولى بعد ذلك مظفر الدين على خوقند الشرقية بسهولة.

وبعث برسالة مليئة بالغطرسة إلى الجنرال تشريانييف وهو الذى خلف الجنرال بيروفسكى فى قيادة الجيش الروسى، يدعوه فيها إلى اخلاء كافة الاراضى التى يحتلها الروس ويهدده بالحرب. وقام بمصادرة املاك التجار الروس فى بخارى. فهاجم الروس البخاريين عند اورنبرج، غير آبهين بتهديد مظفر الدين الذى ارسل خوجه نجم الدين فى بعثة صداقة إلى بطرسبرج ليشكو إلى القيصر اعتداءات قائدة. وكان الأمير يرمى من وراء ذلك إلى كسب الوقت حتى يستطيع القضاء على ثوار شهر سبز. على أن الروس كانوا أشد دهاء منه فقد قبضوا على نجم الدين واعتقلوه فى حصن قزاله.

واستعجل الجنرال تشريانييف الحرب بعد أن قبض مظفر الدين على رسوله الذى ارسله لمعالجة الخلاف مع

البخاريين فعبر الصحراء لمهاجمة خانية بخارى ولكنه فوجىء باعداد غفيرة منهم مما اضطره إلى الانسحاب. وعزل على أثر ذلك ثم تم تعيين الجنرال ديمترى رومانوفسكى بدلا منه، وهو الذى قاد معركة يرجار ضد مظفر الدين والتى وقعت وقائعها فى مايو ١٨٦٦م وهزم فيها مظفر الدين وكانت هذه المعركة بمثابة الضربة القاضية لتركستان، اذ ضاع بسببها استقلالها ونال المسلمون فى هذه البلاد بهذه الهزيمة ضربة مميتة. وسقطت سمرقند فى يد الروس فى ١٨٦٨م وبعد هذه الهزيمة وقعت معركه سربول بين مظفر الدين والروس على تاج بلاد ماوراء النهر.

وهزم مظفر الدين. وبهذا لم يكن للامير يد من عقد الصلح مع عدوه المنتصر، فيحتفظ بذلك بظل الملك ما بقى له من سنين، على أن يدفع غرامة حربية قدرها مائة وخمسة وعشرون ألف تيل «نصف المليون تالر» ولم ينص الروس صراحة على أنها جزية محافظة منهم على شعوره.

وتعهد الأمير فى هذه المعاهدة بما يأتى، أولا: أن

يسمح للرعايا الروس بممارسة التجارة فى حرية تامة بكل أجزاء الخانية بصرف النظر عن عقائدهم، وأن يؤمنهم على ممتلكاتهم وحياتهم، أن يسمح للتجار الروس بأن يقيموا وكلاء تجاريين لهم فى حرية تامة بكل أجزاء الخانية. أن يحدد الضريبة على الواردات الروسية باثنين ونصف بالمائة من قيمتها الأسمية، رابعا أن يسمح للتجار الروس بحرية المرور فى أراضى الخانية حين يقصدون ما يجاورها من البلاد.

نال مظفر الدين نتيجة لهذا الاتفاق عداوة مسلمى بخارى لمساندتهم ابنة ضده الذى اتخذ من قارشى ثانى أكبر مدن الخانية قاعدة له ودخل فى تحالف مع خان خيوة، وازداد تأييد الناس له حتى وجد نفسه بعد وقت قصير جدا على رأس جيش قوامه ما يقرب من عشرة آلاف رجل، ولم يكن مظفر الدين ليقف موقف المتفرج ازاء ذلك، فجمع بدوره ماتبقى له من قوات ضئيلة وزحف بها إلى قارشى ليكبح جماح ابنه. حتى اذا ما بلغ منتصف طريقة إلى هناك علم كذلك بقيام الثورة عليه فى القسم الشمالى من الخانية، وذلك بتدبير فى السر

من ولى العهد. وأدى ظهور ذلك العدو فجأة فى الشمال، مع مالاح من ازدياد الخطر فى تلك النواحى، إلى أن اصدر الأمير أوامره بالرجوع وجد فى السير الى عاصمته، وتشجع ولى العهد بارتداد ابيه هذا فعزم على مطاردته، وكان من الممكن أن ينجح فى خطته هذه لو لم يتدخل الروس بطلب من الامير، وهكذا يكرر التاريخ نفسه فى بخارى مرة أخرى فكما استعان مسلمو الأندلس بالنصارى ضد بعضهم البعض استعان مظفر الدين الروس ضد ابنه المسلم الثائر عليه لتخاذله فى مقاومة الاعداء، وكانت النتيجة الطبيعية سقوط الاندلس وسقوط بخارى ولم تكن الاضطرابات فى بخارى ترضى الروس، فرصدوا لذلك قوة بقيادة الكولونيل ابراموف Abramoff استطاعت أن توقف تقدم ولى العهد عند جام.

وتمكن مظفر الدين فى الوقت نفسه من أن يتخلص من صادق باى فى النواحى الشمالية الشرقية اذ انزل به هزيمة تامة، ثم ذهب من بعد ذلك ينشد تعاون الروس معه حتى يستطيع بذلك أن يقر الأمور فى الجنوب حيث

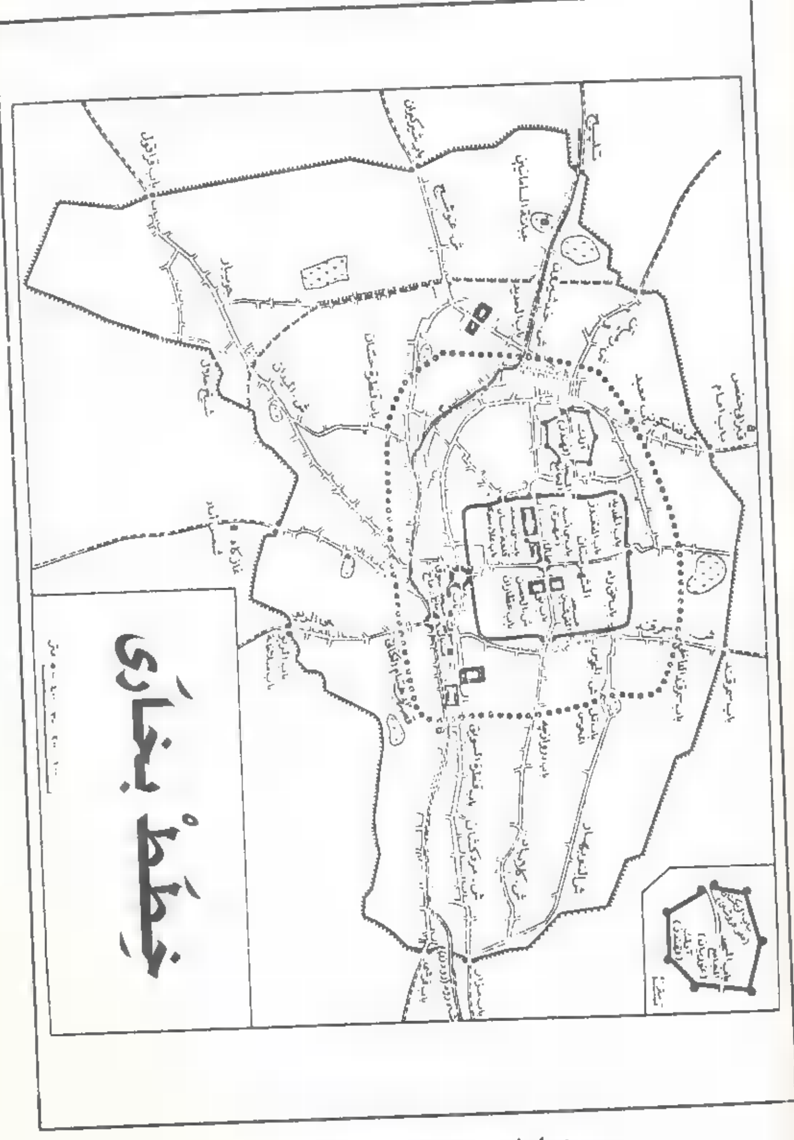
شهر سبز التى ثارت فى وجهه، وابنه الذى خرج عليه. وأجابه الروس إلى ما طلب، فسار الكولونيل أبراموف من جام مع فرقة استطلاعية لهذا الغرض. وسبق هذا القائد الأمير فى زحفه بأميال قليلة، فالتقى بقوات ولى العهد فهزمها وشتت شملها، واستولى الروس على قارشى، ثم أخلوها بعد يومين وسلموها للأمير هى وقلعتها وكل ما كان بمخازنها من أسلحة، والدهشة تعقد لسان أهلها من هذا الصنيع. وارتأى مظفر الدين أن يفيد كذلك من الروس فى حربه ضد شهر سبز ،غير أن الروس بعثوا بجنودهم إلى معسكرهم الشتوى فى جام. وقاوم ولى العهد الروس، حتى قتل فى خيوه. وفى ٣ نوفمبر من عام ١٨٦٩م قدم مظفر الدين هدايا وفروض الطاعة لقيصر روسيا وكان من جملة هداياه، خاتم له حجر ضخم من الماس، وعمامة للسيدات مرصعة بالحجارة الكريمة ومجموعة من أطقم الخيل من الفضة المرصعة بالياقوت[٤٥] وفى عصر عبد الأحد (١٨٨٥م-١٩١٠م) تم قبول أن يكون نهر «ينج» حدا فاصلا بين خانية بخارى وأفغانستان وذلك من خلال معاهدة أبرمت بين بخارى

وروسيا. وفى عام ١٨٨٧ تم انشاء خط سكة حديد على أراضى الأمارة، ولكن محطة بخارى كانت على بعد ١٦كم من المدينة، وذلك فى المكان الذى يسمى اليوم «ڤاكان». وتم اسكان الروس بشكل سريع جدا على طول الخط الحديدى وسواحل نهر جيحون حتى إنه فى عام ١٩١٤ كان مالا يقل عن خمسين ألفا من الروس يسكنون خانية بخارى. وكانت هذه بدايات محاولات الروس تغيير التركيب السكانى للمنطقة. وفى عام ١٩١٠م أصبح مير عالم ابن عبد الأحد أميرا على بخارى. ومير عالم الذى تلقى تعليمه فى سان بطرسبرج هرب إلى أفغانستان بعد الثورة البلشفية فى عام ١٩١٧م وتوفى هناك.

واحتل الحمر بخارى فى مارس ١٩١٨م ولكنهم اضطروا للانسحاب بعد سلب ونهب وتدمير استمر يوما ونصف اليوم، وفى نهاية أغسطس ١٩٢٠م تم استبعاد عالم خان أخر أمير للمدينة من العرش بعد احتلال الجيش الأحمر للمدينة. وفى اكتوبر ١٩٢٠م الغيت خانية

بخارى. وفقدت بخارى منذ ذلك الحين مكانتها كعاصمة ورونقها كواحدة من مدن ديار الإسلام..

وهاهى بخارى قد عادت اليوم مرة أخرى إلى ديار الإسلام.. وكلنا أمل أن تعود إلى رونقها مرة أخرى[٤٦].



مخطط مدينة بخارى

خطط بخارى وآثارها الباقية

تكونت مدينة بخارى كباقى مدن بلاد ماوراء النهر من مدينتين واحدة داخلية ويضمها سور داخلى يحوى أهم منشات المدينة الدينية والادارية والتجارية وسور خارجى يضم ارباض المدينة وبين الاثنين القلعة التى تضم قصر الحكم ويطلق عليها فى بلاد ماوراء النهر القهندز. ويطلق على القسم الداخلى من المدينة الشهر ستان، ويقع القسم الداخلى والقلعة على مرتفع من المدينة، وابواب سور الشهر ستان يبلغ عددها سبعا كان أشهرها بابا القلعة، الباب الجديد، باب العطارين، باب السوق، أما سور الريض او السور الخارجى فقد بنى فى العهد الأسلامى فى عام ٢٣٥ هـ /٨٤٩-٨٥٠م، وكان كما هو الحال مع اسوار المدينة التى ظل جزء كبير منها باقيا مكونا من أحد عشر بابا، هى قرا قول، شيخ جلال، نمازكاه، سلخانه، كوله، مزار، سمرقند، امام، او غلان، طليج ، شيركيران.

هذا السور اعاد بناءه ارسلان خان محمد فى القرن ١٢م، ثم اعاد بناءه

فيما بعد قليج طمغاج خان مسعود عام ٥٦٠ هـ/١١٦٥م، وفى بداية القرن الثالث عشر أعاد بناءه خوارزمشاه محمد. وقد زودت المدينة بشبكة من قنوات المياه لرى أراضيها وتوفير مياه الشرب بها وذلك من قناة رئيسية تعرف باسم رودزر أى نهر الذهب، تخرج منها مجموعة من القنوات الصغيرة تتشعب داخل المدينة لتوفر احتياجاتها من المياه(٤٧).

وأقدم أسواق بخارى التى مازالت باقية إلى الآن سوق لابى خاوز، وقد سمى على اسم بركة مياة يبلغ طولها ٤٢ مترا وعرضها ٣٦ مترا، وعمقها ■ امتار، حفرت عام ١٦٢٠م واعيدت حاليا إلى حالتها الاصلية، ويحيط بهذا السوق مجموعة من المبانى الرائعة منها نادر ديوان بيجى خاناكا، مضيفة الحجاج، وقد بنيت على الجانب الغربى عام ١٦٢٠م، ومدرسة كوكلداش على الجانب الشمالى.

ومن هذه المنطقة تتشعب اسواق بخارى ومنها تاكى

زارجارون أو سوق الصياغ اى صناع المجوهرات وسوق تاكي تلباك أو سوق باعة الطواقي وسوق سارافون الذى يتمركز فيه تجار العملات، وقد بنيت كل هذه الاسواق فى القرن ٩هـ/١٥م وهى تمتد من لابى خاوز إلى ريجستان الساحة الرئيسية بالمدينة(٤٨).

ويطلق على السوق ببخارى باكات (بواكى) وسوق الصاغة عبارة عن قبة رئيسية ذات ضلوع مقامة على قاعدة من ثمانية اضلاع يوجد بها ١٦ نافذة وحولها قباب أخرى ذات ارتفاعات متنوعة والسوق مربع الشكل وهو يقع عند تقاطع شارعين رئيسيين ويبلغ عدد مداخل هذا السوق أربعة ذات بوابات متأثره بالعمارة الفارسية، وقد راعى المعمار ارتفاع حرارة الجو فى هذه البلاد، فالسوق من الداخل يوفر درجة حرارة مناسبه وتعطى جوا منعشا لزائريه ويضم هذا السوق ٣٠ ورشة ومحلا للمجوهرات. وسوق الطواقى له خطة ذات ست أضلاع حيث أنه يقع عند تقاطع خمس شوارع تلتقى عند زوايا متعددة. ولقد وضع المعمار ذلك فى حسبانه عند تخطيط

هذا السوق.(٤٩) لقد تبقى إلى الآن فى بخارى ١٤٠ أثرا معماريا من أندرها خزان المياه(٥٠) ولذا تعد بخارى متحف كبير للتراث المعمارى الأسلامى.

وأشهر المبانى المعمارية الباقية ببخارى والتى تعكس تطورا معماريا تم على أيدى المسلمين ضريح السامانيين الذى شيد فى الفترة بين عامى ٨٩٢و٩٠٧ على يد اسماعيل السامانى، والضريح تعلوه قبة ترتكز على رقبة تبدأ بثمانية أضلاع وتنتهى بستة عشر ضلعا فى أركانها أربع قباب صغيرة، والشىء المميز لهذه المنشأه هو الاستعمال الرائع لقوالب الطوب كعنصر بنائى وزخرفى فاستخدام الطوب بهذه الخاصية يضفى نوعا من الرقة غير التقليدية على جدران سمكها يصل إلى ١,٨٠م.

ومن المعروف أن القباب الضريحية من المنشآت التى حرمها الشرع الشريف، وقد رمم هذا الضريح فى عام ٣٤م وأقيم حوله منتزه عام(٥١).

لقد ظلت بخارى عاصمة فى عهد القراخانيين وساعد

وقوعها على طريق القوافل الدولى على رفاهيتها اقتصاديا وانعكس ذلك على مستواها المعمارى. ومازالت البوابة الجنوبية الرائعة لاحد مساجد القرن ٦هـ /١٢م باقية إلى اليوم ويقوم فى مكان هذا المسجد الان مسجد مغاك عطارى، وقد جمعت بوابة هذا المسجد كافة الفنون الزخرفية فى بخارى من الاوضاع المختلفة للطوب الصغير والتى تعطى تشكيلات رائعة للواجهة، إلى الفخار ذى النقوش الزخرفية، وإلى الحفر على المرمر بزخارف نباتية وهندسية وكتابية(٥٢) .

وكانت لمسجد نمازكاه ٦ هـ/١٢م ببخارى فى بادئ الأمر مساحة كبيرة فسيحة ومغروسة بالاشجار فى ضاحية المدينة شأنه شأن جميع مساجد هذا الطراز المخصصة لاداء فريضة الصلاة فى عيدى الفطر والاضحى اللذين يتوافد فيهما اناس كثيرون إلى الصلاة، وكان المصلون يصلون فى ظل الاشجار، وهذا النوع من المساجد عرفته كل مدن العالم الاسلامى تأسيا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى خصص ساحة خارج المدينة المنورة لصلاة العيدين، وفى القرن ٦هـ/١٢م لم يكن يوجد بمسجد نمازكاه سوى حائط

واحد «الحائط الغربى فى المسجد الحالى» مع المحراب. وهذا الحائط مزخرف بطوب صغير من اللون الضارب إلى الحمرة والصفرة وزخرف برسوم هندسية وبكتابات وهذا النوع من الزخرفه يتصف به ذلك العهد. والكتابة التى تحيط بالمحراب تكرر مرات كثيرة هاتان الكلمتان (الملك لله) أما الكتابات الزخرفية على تجويف المحراب فتتضمن أسماء النبى والخلفاء الراشدين.

وتبقى ببخارى من آثار القرن ١٢م مئذنة كلان التى أقامها ارسلان خان سنة ١١٢٧م. وزينت هذه المئذنة من اسفلها حتى اعلاها بالطوب المزخرف بمهارة عاليه. ويبلغ ارتفاعها ٤٦,٥م. وفى داخل المئذنة يؤدى سلم من ١٠٤ درجة إلى الطرف المستدق اعلاها، الذى يشكل فى نهايته ١٦ عقد، اعلاها صفوف من المقرنصات التى تبرز ككورنيش يحلى نهاية المئذنة وكذلك اسفلها صف من المقرنصات ينبىء عن بدء دورة المؤذن. والذى ينادى من خلال العقود الستة عشر اهالى المدينة إلى الصلاة.

أثر اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح على اقتصاديات بلاد ماوراء النهر فقد قلص نطاق تجارة القوافل بين الشرق والغرب، ووحد فى تلك المدة الخان الاوزبكى الشيبانى بلاد ماوراء النهر فى دولة واحدة.

ولم تبلغ اعمال البناء فى عهد الشيبانيين مهما كانت نشيطة مقاييس اعمال البناء فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر، ومن اكبر المنجزات التى احرزها فن المعمار فى القرن ١٦م هو تطويره بناء القباب بأشكال تصميمية جديدة مما ادى إلى ايجاد اساليب جديدة فى تزينها، واستعملت بلاطات القاشانى المربعة على نطاق واسع فى زخرفة الجدران الداخلية والخارجية للمنشات ، ويعتبر مسجد كلان ببخارى والذى اعيد بناؤه ما عدا المئذنة عام ١٥١٤م طفرة معمارية بمقاييس ذلك العصر. وكان هذا المسجد مخصص لصلاة الجمعة، والمسجد ملحق به باحه واسعة محاطة بأروقة ذات قبب ترتكز على اعمدة حجرية وكان المصلون يستظلون فى الاروقة . والمسجد من الداخل مسقوف بـ ٢٨٨ قبة .

ويتسع هذا المسجد لـ ١٠,٠٠٠ مصلى، واذا اردنا أن نأخذ صورة لمدينة بخارى فلابد أن يبرز فيها المسجد بقبته الرئيسية الزرقاء والتى ترتفع فوق المسجد لتشكل مع المئذنة منظرا رائعا قلما نشاهده فى مكان آخر.

وتشكل مجموعة بوى كلان (قدم العظيم) مع مدرسة

ميرعرب التى تقابلها مجمعا للعمارة الاسلامية فى بلاد ما وراء النهر، هذه المدرسة التى شيدها الشيخ عبد الله اليمنى فى سنتى ١٥٣٥-١٥٣٦م الملقب بميرعرب . وكانت هذه المدرسة تضم أكثر من مائة حجرة.

لقد شاع فى بخارى فى عهد الشيبانيين انشاء منشآت معمارية متقابلة على غرار ما وجدناه فى ميرعرب وكلان، ويماثل هاتين المنشائتين مجموعة قوش ومعناها المدرستان وهما من انشاء عبد الله خان وتحمل احداهما اسم أمه مدرسة مادرخان (١٥٦٦-١٥٦٧م) وتحمل الأخرى اسمه مدرسة عبد الله خان، وتمتاز مدرسة عبد الله خان عن مدرسة مادر خان المتواضعة الواقعة على جانب الشارع الآخر بالتخطيط الاكثر تعقيدا والسقوف المقببة، [٥٣] وكانت مساجد الاحياء تجمع أحيانا بين طرائق فن البناء الضخم وبين تقاليد فن البناء الشعبى الأمر الذى ساعد على بلوغ مزايا جمالية جديدة. ومن منشآت القرن السادس عشر يمتاز مسجد بلند فللمسجد رواق خارجى به أعمدة. خشبية تحمل سقفاً خشبيا، وزين المسجد بالقاشانى

الأخضر ذا زخارف الزهور الرائعة والتى تتكامل زخرفيا مع الكتابات الموجودة بالمسجد، ومحراب المسجد زين ببلاطات القاشانى ايضا، آما السقف فهو من الخشب المحفور والمرصع بالزخارف الذهبية ويماثل مسجد بلند مسجد خواجه زين الدين. وكلاهما لاتقل قيمته عن أروع منشآت القرن الخامس عشر بسمرقند.

واكبر مدارس بخارى مدرسة كوكلداش (١٥٦٦-١٥٦٩م) وهى حاليا فى حالة سيئة ، لان تشييدها جرى بعجلة واهمال وصممت قباب المدخل والقاعات الركنية بطريقة رائعة مع عقودها الحامله لها وهى من المرمر.

وفى سنة ١٦٢٠م حفر حوض ماء لب، بأمر أحد كبار مسئولى بخارى وهو نادر ديوان بيكى. وكان الحوض يكسوه الحجر الجيرى، وغرست حوله الاشجار ليشكل مع مسجد نادر ديوان بيكى مجموعة لب – حوض.

وتشكل مدرسة عبد العزيز خان (١٦٥٢م) المشيدة بعد مدرسة اولوغ بك فى الجانب الاخر من الشارع منظرا معماريا رائعا، وخلافا لبساطة وتواضع الاشكال البنائية لمدرسة اولوغ بك نجد فى اشكال بناء مدرسة عبد العزيز خان خاصة فى الافراط فى تزيين القسم الداخلى وفى عصر خانية بخارى القرن ١٩م شيد قصر سيتارة ما هى خوسا وهو من القصور الباقية إلى الان بالمدينة.



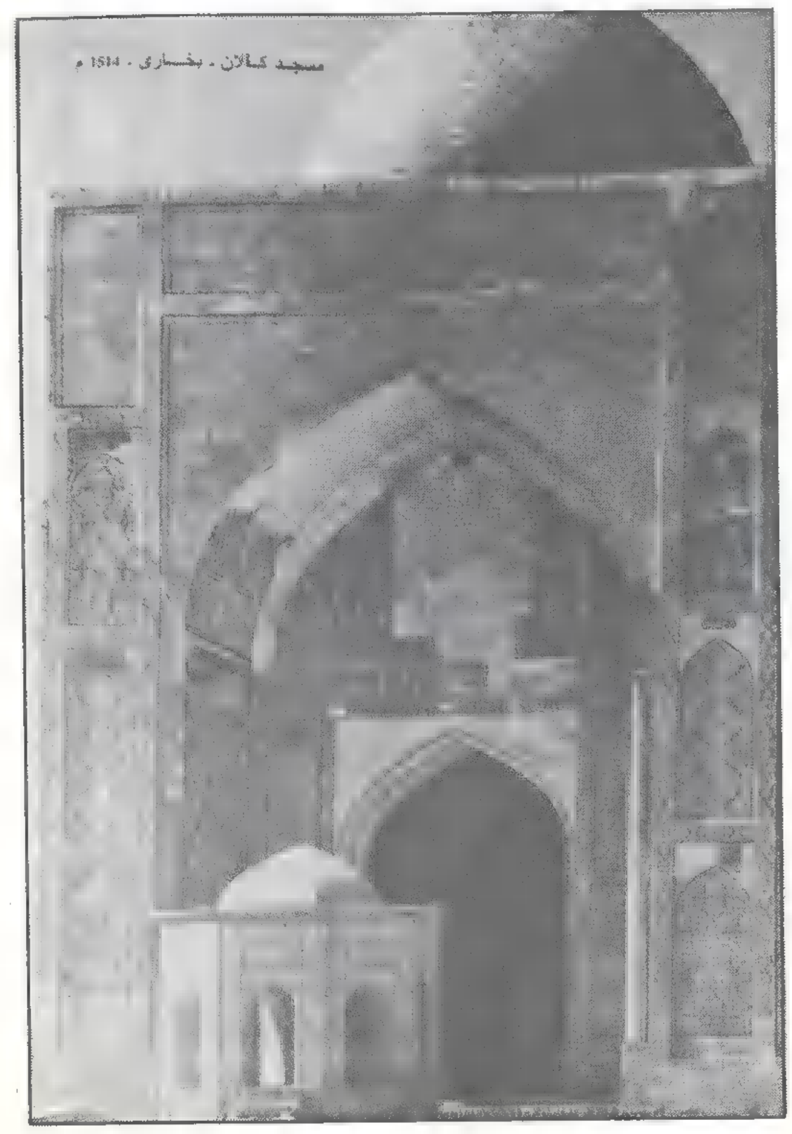
ضريح السامانيين



مئذنة كلان



مدرسة اولوغ بك



مسجد کلان



مدرسة مير عرب



سور مدينة بخاري

المراجـــع

(١) الاصطخرى، مسالك الممالك، ص ٣٠٥ ، بريل، ليدن ١٩٢٧م. وابن حوقل ، صورة الأرض، ص ٣٩٢ دار مكتبة الحياة، بيروت.

(٢) الاصطخرى، مصدر سابق، ص ٣١٥.

(٣) البلاذرى ، فتوح البلدان، ص ٣٩٣. مكتبة الهلال بيروت ١٩٨٣م.

(٤) ليسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص٥٠٣،٥٠٤ مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٥م الطبعة الثانية.

(٥) المقدسى، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، ص ٣٦٩ بريل، ليدن ١٩٠٦م.

(٦) الاصطخرى، مصدر سابق، ص ٣١٥.

(٧) ار منيوس فامبرى، تاريخ بخارى منذ اقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة احمد الساداتى ترجمة وتقديم يحيى الخشاب،ص ٢١،٢٢. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٦٥م.

(٨) الاصطخرى، ص٣٠٦ ، وابن حوقل ، ص٤٠١ د. محمد احمد محمد ، بخارى فى صدر الاسلام، ص٧،٨. دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٩٢م.

(٩) د. محمد أحمد، المرجع السابق، ص٩

(١٠) النرشخى، تاريخ بخارى، عربه عن الفارسيه وقدم له، أمين عبدالمجيد، ونصر الله الطرازى، ص١٨، ١٩، دار المعارف - مصر، ١٩٦٥م.

(١١) المصدر السابق.

(١٢) اسم جامع لبلاد الترك. محمد أحمد، مرجع سابق ص٨، ٢٣.

(١٣) وصف النيسابورى الرساتيق بأنها مجموعة القرى أو المواضع الصالحة للسكنى. محمد أحمد، مرجع سابق، ص ٢٣.

(١٤) كمال السعيد حبيب، بخارى قبة الأسلام، ص ٢٨٨ مجلة شمس الأسلام،العدد التجريبى الثانى، ربيع الأول ١٤١٤هـ ستمبر ١٩٩٣م.

(١٥) كمال السعيد، المرجع السابق، ص ٢٩٠، ١٩١، ٢٩٢.
د.حسن أحمد محمود، الإسلام والحضارة العربية فى أسيا الوسطى، ص١٢٥، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٨م.

(١٦) البلاذرى، فتوح البلدان، ص ٤٠٧، مكتبة الهلال بيروت، ١٩٨٣م.

(١٧) د.محمد أحمد محمد،مرجع سابق، ص ٨٨.

(١٨) ابن كثير، البداية والنهاية ، حـ٧، ص ١٦٧ مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٨٥م.

(١٩) حول تقسيم مدينة بخارى بين العرب على عهد قتيبة بن مسلم، انظر، النرشخى المصدر نفسه، ص ٨٠،٨١.

(٢٠) المصدر السابق، ص٧٠.

(٢١) المصدر السابق، ص٢٤، ٨٧، ٨٨.

(٢٢) المصدر السابق، ص٨١.

(٢٣) المصدر السابق، ص٧٥.

(٢٤) ابن طباطبا، الفخرى فى الآداب السلطانية، ص١٨٢، ١٨٣، القاهرة ١٩٢٧م.

(٢٥) د. محمد أحمد محمد، مرجع سابق، ص٩٩.

(٢٦) المرجع السابق، ص٩٩.

(٢٧) المرجع السابق،ص٩٩.

(٢٨) النرشخى، المصدر نفسه، ص٣٠. المقدسى، مصدر سابق،ص ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٨.

(٢٩) المقدسى، مصدر سابق، ص٣٧٧.

(٣٠) النرشخى، مصدر سابق، ص٧٤.

(٣١) المصدر السابق،ص ٧٥.

(٣٢) cres well, early Maslim arechitecture, vol,1,p.98,99.533.

(٣٣) البيهقى، تاريخ حكماء الإسلام، ص٥٢،٥٣ تحقيق محمد كرد على، دمشق ١٩٤٦م.

(٣٤) النرشخى، مصدر سابق،ص ٣٠.

(٣٥) بدر الدين الصينى، العلاقات بين العرب والصين، ص٨: ١٢.

(٣٦) فامبرى، مرجع سابق، ص٢٥

(٣٧) الدمشقى (شيخ الربوة)، نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر، ص٢٢٣.

(٣٨) ياقوت الحموى، معجم البلدان، حـ٢ ،ص٨١

(٣٩) زكريا بن محمد بن محمود القزوينى، آثار البلاد وأخبار العباد،ص٥٠٩ :٥١١، دار صادر، بيروت .

(٤٠) محمد بن عبد المنعم الحميرى، الروض المعطار فى خبر الأقطار، ص٨٢،٨٣،٨٤ تحقيق د.احسان عباس، مؤسسة ناصر، بيروت،١٩٨٢م.

(٤١) ڤاسيلى بارتولد، تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى، ترجمة صلاح الدين هاشم، ص٣٤٨،٣٤٩ الكويت ١٩٨١م.

(٤٢) فامبرى، مرجع سابق، ص ١٦٨،١٦٩،١٧٠،١٧١.

(٤٣) د. فؤاد عبد المعطى الصياد، الشرق الاسلامى فى عهد الايلخانيين، (أسرة هولاكو) ص٥٢، مركز الوثائق والدراسات الانسانية، جامعة قطر، ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧م.

(٤٤) سليم الخورى وسليم شحادة ، آثار الادهار، حـ١ ،ص ٧١٦، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، بيروت ١٨٧٥م.

(٤٥) فامبرى، مرجع سابق، ص٤٥٥ :ص٤٨٧ . كمال السعيد حبيب، الاسلام فى آسيا الوسطى، ص٤٠،٤١ مؤسسة المدينة، مكتب القاهرة، ١٩٩٢م.

ڤيتالى نؤمكين، الأيام الأخيرة لامارة بخارى، بحث القى فى مؤتمر «المسلمون فى آسيا الوسطى» ستمبر ١٩٩٣م. جامعة الأزهر.

د. محمود قشطه، الاحتلال الروسى للجمهوريات الاسلامية السوڤيتية سابقا، ص١٥٧، ١٥٨ . مؤتمر «المسلمون فى آسيا الوسطى» المحور التاريخى جامعة الأزهر ١٩٩٣م.

(٤٦) د. عبد العزيز عوض، بخارى تحترق، ص٢٢٤، ٢٢٥ مؤتمر المسلمون فى آسيا الوسطى، حـ٣، المحور الحضارى والثقافى.

الكسندر بيننجسن، شانتال لوميرسييه، سلطان غالييف، ابو الثورة فى العالم الثالث، ص٦٧، كتاب العالم الثالث،١٩٩٢م القاهرة.

(٤٧) بارتولد، مرجع سابق، ص١٩٣.

(٤٨) Papado poulo, islam and muslim Art p.527,Pairis,1976.

(٤٩) op,cit,527

(٥٠) نعمة الله ابراهيموف، الاثار الاسلامية فى اوزبكستان، ص١١،١٢ طشقند ١٩٩٢م.

(٥١) oleg graber, islamic arhitctare and its decoration, p,49, london 1964يم

(٥٢) عصمت عبد الله، الآثار الاسلامية التاريخية فى الجزء الأسيوى من الاتحاد السوفيتى جامعة طشقند .

(٥٣) المرجع السابق.